

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رِيَاضُ الصَّالِحِينَ

شرح حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : "يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" وحديث أنس - رضي الله عنه - "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَّكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكِيْتُمْ كَثِيرًا"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب الخوف أورد المصنف - رحمه الله - حديث عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حَتَّىٰ يَغْيِبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذْنِيهِ))^(١)، متყق عليه.

قوله: ((يَقُومُ النَّاسُ)) أي: من قبورهم في يوم القيمة لرب العالمين، {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: ٦]، فيصيبهم ما يصيبهم في ذلك اليوم من الشدة والحر، وينالهم من ذلك بقدر أعمالهم، فيكون العبد بحسب تقديره وحاله مع الله - جل جلاله -، وتندو الشمس من الناس على قدر ميل، ونحن في هذه الأيام التي إذا خرج الإنسان فيها لربما دقائق يتعرض لحر الشمس فإنه يجد لذلك أثراً لا ينكر، فكيف إذا بلغت الحال إلى ما وصف؟، تندو الشمس على قدر ميل، ويقف الناس في ذلك اليوم، ويطول جداً على الكافرين، كما قال الله - تبارك وتعالى -: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً} [المعارج: ٤]، فهو يوم طويل. ((يَغْيِبُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ)) أي: في عرقه، ((إِلَى أَنْصَافِ أَذْنِيهِ)) وهذا بحسب عمله، ومن الناس من يكون دون ذلك، كما في الحديث الآخر الذي يدل على أن الناس يتفاوتون في ذلك.

وفي حديث أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطبة ما سمعت مثلها قط، أي: في الوعظ والزجر والتخييف، فقال: ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ)) أي: من أحوال الآخرة وأحوالها وأوجالها، وصفات النار وما فيها من العذاب ((لَضَحَّكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكِيْتُمْ كَثِيرًا))^(٢)، ولا يرد على هذا أن المسلمين الله ينجيهم من النار، وأنهم لو علمنا ما لهم من النعيم لضحكوا وسرروا بذلك، فإن العبد لا يدرى بماذا يوافي، ولا بأي شيء يختتم له، وكان من الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - من يبكي عند موته، كأبي هريرة - رضي الله تعالى عنه -، وعبد الله بن رواحة، ومعاذ بن جبل، وأمثال هؤلاء، ولربما سئل الواحد منهم عن سبب بكائه، وهل هذا البكاء واقع بسبب الجزع من الموت، أو أن ذلك لفراق الدنيا ولفراق أهلها؟، فيبيّن أنه إنما يبكي؛ لأن الله أخبرنا: {وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتَّىٰ مَقْضِيًّا} [مريم: ٧١]، يقول: فلا أدرى كيف يكون الصدر بعد الورود، نحن سنرد على النار، ولكن هل سينجو الإنسان إذا ورد عليها أو لا ينجو؟.

١- أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يوم يقوم الناس لرب العالمين، (٤٩٣٨)، رقم: (١٦٧/٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١٨٦/١)، رقم: (١٩٤).

٢- أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {لَا تَسْأَلُوا عَنِ أَشْيَاءِ إِنْ تَبَدَّلُكُمْ}، (٥٤/٦)، رقم: (٤٦٢١).

((الضحكتم قليلاً ولبكitem كثيراً))، وهذا حال أهل الخشية من الله -جل جلاله-، أنهم يخافون، وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنه -يقول: لو أعلم أنه قبلت لي سجدة واحدة لم أبال، فغطى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجوههم ولهم خنين، أي: بكاء مع غنة وصوت، كأنه يستنشق الصوت من الأنف، ولهم خنين، متفق عليه.

وفي روایة: بلغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أصحابه شيءٌ، يعني هذا سبب ورود الحديث، فخطب فقال: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرِ كَالِيلَوْمَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُوا مَا أَعْلَمُ لِضْحَكَتُمْ قليلاً ولبكitem كثيراً))^(٣) فما أتى على أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم أشد منه، غطوا رءوسهم ولهم خنين.

فأقول: ينبغي على العبد أن يخاف، ومن لم يخف فينبغي أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأن أهل الجنة قالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ} [فاطر: ٣٤]، ويقولون: {إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلَنَا مُشْفِقِينَ} [الطور: ٢٦]، فمن لم يشفق فليخاف أن يكون من أصحاب النار، فإن من صفة أهل الجنة التي ذكرها الله -عز وجل- أنهم يخافون، وأنهم في حال من الوجل والخشية والإشراق، فنسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا وإياكم من أهل الخشية، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا وأحوالنا، وأن يحسن لنا العاقبة في الأمور كلها، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.

٣ - أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره -صلى الله عليه وسلم-، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك (١٨٣٢/٤)، رقم: (٢٣٥٩).